

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جَبْرَائِيلَ الْمَشْهُورُ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدٌ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدٌ سَوَادِ الشَّعْرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتَقِيمُ الصَّلَاةِ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» قَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ أَمَارَاتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ» قَالَ: فَمَضَى فَلَبَّسْنَا مَلِيًّا فَقَالَ: «يَا عُمَرُ أَنْتَ دَرِيٌّ مِنَ السَّائِلِ»؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هَذَا جَبْرِيْلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ» (١).

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام، وغالب هذا الحديث تقدم شرحه ولنا شرح عليه في مجموع الفتاوى والرسائل ٣/ ١٤٣.

الأصل الثالث^(١): مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ . وَهُوَ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَةِ إِسْمَاعِيلَ، ابْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا

(١) أي من الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها وهي معرفة العبدربه، ودينه، ونبيه.

وقد سبق الكلام على معرفة العبدربه ودينه.

وأما معرفة النبي ﷺ فتتضمن خمسة أمور:

الأول: معرفته نسباً فهو أشرف الناس نسباً فهو هاشمي قرشي عربي فهو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم إلى آخر ما قاله الشيخ رحمه الله.

الثاني: معرفة سنه، ومكان ولادته، ومهاجره وقد بينها الشيخ بقوله: «وله من العمر ثلاث وستون سنة، وبلده مكة، وهاجر إلى المدينة» فقد ولد بمكة وبقي فيها ثلاثاً وخمسين سنة، ثم هاجر إلى المدينة فبقي فيها عشر سنين، ثم توفي فيها في ربيع الأول سنة إحدى عشرة بعد الهجرة.

الثالث: معرفة حياته النبوية وهي ثلاث وعشرون سنة فقد أوحى إليه وله أربعون سنة كما قال أحد شعرائه:

وأنت عليه أربعون فأشرقت شمس النبوة منه في رمضان

الرابع: بماذا كان نبياً ورسولاً؟ فقد كان نبياً حين نزل عليه قول الله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [سورة العلق، الآيات: ١-٥]، ثم كان رسولاً حين نزل عليه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ

أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ . وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ : ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً ، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النَّبُوَّةِ ، وَثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا وَرَسُولًا ، نَبِيٌّ بِإِقْرَأ . وَأُرْسِلَ بِالْمُدَّثِّرِ ، وَبَلَدُهُ مَكَّةَ ، وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ .

بَعَثَهُ اللَّهُ بِالنَّذَارَةِ عَنِ الشَّرِكِ ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ ^(١) . وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ^(٢) قُمْ فَأَنْذِرْ ^(٣) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ *

فَكَبِّرْ * وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْبِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿ [سورة المدثر، الآيات: ١-٧] ، فقام ﷺ فَأَنْذَرَ وَقَامَ بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

والفرق بين الرسول والنبي كما يقول أهل العلم: أن النبي هو من أوحى إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، والرسول من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه والعمل به فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً.

الخامس: بماذا أرسل ولماذا؟ فقد أرسل بتوحيد الله تعالى وشريعته المتضمنة لفعل المأمور وترك المحظور، وأرسل رحمة للعالمين لإخراجهم من ظلمة الشرك والكفر والجهل إلى نور العلم والإيمان والتوحيد حتى ينالوا بذلك مغفرة الله ورضوانه وينجوا من عقابه وسخطه.

(١) أي ينذرهم عن الشرك ويدعوهم إلى توحيد الله عز وجل في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

(٢) النداء لرسول الله ﷺ .

(٣) يأمر الله عز وجل نبيه ﷺ أن يقوم بجد ونشاط وينذر الناس عن الشرك ويحذرهم منه وقد فسر الشيخ هذه الآيات .

وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿ [سورة المدثر، الآيات: ٧-١]. وَمَعْنَى ﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ : يُنذِرُ عَنِ الشَّرْكِ وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ . ﴿ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴾ أَي : عَظَّمَهُ بِالتَّوْحِيدِ ، ﴿ وَيَأْبَاكَ فَطَهِّرْ ﴾ أَي : طَهَّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشَّرْكِ . ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ الرُّجْزُ : الْأَصْنَامُ وَهَجْرُهَا تَرْكُهَا ، وَالْبِرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا .

أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ ^(١) وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ ^(٢) ،

(١) أي أن النبي ﷺ، بقي عشر سنين يدعو إلى توحيد الله عز وجل وأفراده بالعبادة سبحانه وتعالى .

(٢) العروج الصعود ومنه قوله تعالى : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [سورة المعارج، الآية : ٤] وهو من خصائص النبي ﷺ العظيمة التي فضله الله به قبل أن يهاجر من مكة ، فبينما هو نائم في الحجر في الكعبة أتاه آت فشق ما بين ثغرة نحره إلى أسفل بطنه ثم استخرج قلبه فملاه حكمة وإيماناً تهيئة لما سيقوم به ثم أتى بدابة بيضاء دون البغل وفوق الحمار يقال لها البراق يضع خطوه عند منتهى طرفه فركبه ﷺ وبصحبه جبريل الأمين حتى وصل بيت المقدس فنزل هناك وصلى بالأنبياء إماماً بكل الأنبياء والمرسلين يصلون خلفه ليتبين بذلك فضل رسول الله ﷺ وشرفه وأنه الإمام المتبوع ، ثم عرج به جبريل إلى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه؟

قال : نعم . قيل : مرحبًا به فنعم المجيء جاء ففتح له فوجد فيها آدم فقال جبريل : هذا أبوك آدم فسلم عليه ، فسلم عليه فرد عليه السلام ، وقال مرحبًا بالابن الصالح والنبى الصالح ، وإذا على يمين آدم أرواح السعداء وعلى يساره أرواح الأشقياء من ذريته فإذا نظر إلى اليمين سر وضحك وإذا نظر قبيل شماله بكى ، ثم عرج به جبريل إلى السماء الثانية فاستفتح . . إله . فوجد فيها يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام وهما ابنا الخالة كل واحد منهما ابن خالة الآخر فقال جبريل : هذان يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلم عليهما ، فردا السلام وقالا : مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح ، ثم عرج به جبريل إلى السماء الثالثة فاستفتح . . إله . فوجد فيها يوسف عليه السلام فقال جبريل هذا يوسف فسلم عليه فسلم عليه ، فردا السلام ، وقال مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح ، ثم عرج به جبريل إلى السماء الرابعة فاستفتح . . إله . فوجد فيها إدريس عليه السلام فقال جبريل هذا إدريس فسلم عليه فسلم عليه فردا السلام ، وقال : مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح ثم عرج به جبريل إلى السماء الخامسة فاستفتح . . إله . فوجد فيها هارون بن عمران أخا موسى عليه السلام فقال جبريل هذا هارون فسلم عليه ، فسلم عليه فردا السلام وقال مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح ثم عرج به جبريل إلى السماء السادسة فاستفتح . . إله . فوجد فيها موسى عليه السلام فقال جبريل هذا موسى فسلم عليه ، فسلم عليه فردا السلام وقال مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح فلما تجاوزه بكى موسى فقيل له ما يبكيك قال : «أبكي لأن غلامًا

بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي» فكان بكاء موسى حزناً على ما فات أمته من الفضائل لا حسداً لأمة محمد ﷺ، ثم عرج به جبريل إلى السماء السابعة فاستفتح . . . إلخ . فوجد فيها إبراهيم خليل الرحمن ﷺ فقال جبريل : هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه ، فسلم عليه فرد عليه السلام وقال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح . وإنما طاف جبريل برسول الله ﷺ ، على هؤلاء الأنبياء تكريماً له وإظهاراً لشرفه وفضله ﷺ وكان إبراهيم الخليل مسنداً ظهره إلى البيت المعمور في السماء السابعة الذي يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة يتعبدون ويصلون ثم يخرجون ولا يعودون في اليوم الثاني يأتي غيرهم من الملائكة الذين لا يحصيهم إلا الله ، ثم رفع النبي ﷺ إلى سدرة المنتهى فغشيها من أمر الله من البهاء والحسن ما غشيها حتى لا يستطيع أحد أن يصفها من حسناتها ثم فرض الله عليه الصلاة خمسين صلاة كل يوم وليلة فرضي بذلك وسلم ثم نزل فلما مر بموسى قال : ما فرض ربك على أمتك؟ قال : خمسين صلاة في كل يوم . فقال : إن امتك لا تطيق ذلك وقد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك . قال النبي ﷺ فرجعت فوضع عني عشراً وما زال يراجع ربه حتى استقرت الفريضة على خمس ، فنادى مناد أمضيت فريضتي وخففت على عبادي . وفي هذه الليلة أدخل النبي ﷺ الجنة فإذا فيها قباب اللؤلؤ وإذا ترابها المسك ثم نزل رسول الله ﷺ حتى أتى مكة بغلس وصلى فيها الصبح .^(١)

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة. ومسم، كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ وفرض الصلوات.

وَفَرَضْتُ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ^(١)،
وَبَعْدَهَا أَمَرَ بِالْهَجْرَةِ^(٢) إِلَى الْمَدِينَةِ.....

(١) وكان يصلي الرباعية ركعتين حتى هاجر إلى المدينة فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر .

(٢) أمر الله عز وجل نبيه محمد ﷺ بالهجرة إلى المدينة لأن أهل مكة منعه أن يقيم دعوته، وفي شهر ربيع الأول من العام الثالث عشر من البعثة وصل النبي ﷺ إلى المدينة مهاجرًا من مكة البلد الأول للوحي وأحب البلاد إلى الله ورسوله، خرج من مكة مهاجرًا بإذن ربه بعد أن قام بمكة ثلاث عشرة سنة يبلغ رسالة ربه ويدعو إليه على بصيرة فلم يجد من أكثر قریش وأكابرهم سوى الرفض لدعوته والإعراض عنها، والإيذاء الشديد للرسول ﷺ، ومن آمن به حتى آل الأمر بهم إلى تنفيذ خطة المكر والخداع لقتل النبي ﷺ حيث اجتمع كبارهم في دار الندوة وتشاوروا ماذا يفعلون برسول الله ﷺ حين رأوا أصحابه يهاجرون إلى المدينة وأنه لا بد أن يلحق بهم ويجد النصر والعون من الأنصار الذين بايعوه على أن يمنعه مما يمنعون منه أبناءهم ونساءهم وحينئذ تكون له الدولة على قریش، فقال عدو الله أبو جهل الرأي أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابًا جليدًا ثم نعطي كل واحد سيفًا صارمًا ثم يعمدوا إلى محمد فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه ونستريح منه فيتفرق دمه في القبائل فلا يستطيع بنو عبد مناف - يعني عشيرة النبي ﷺ - أن يجاربوا قومهم جميعًا فيرضون بالدية فنعطيهم إياها .

فأعلم الله نبيه ﷺ بما أراد المشركون وأذن له بالهجرة وكان أبو بكر رضي الله عنه قد تجهز من قبل للهجرة إلى المدينة فقال له النبي ﷺ على رسلك فإنني أرجو أن يؤذن لي فتأخر أبو بكر رضي الله عنه ليصحب النبي ﷺ، قالت عائشة رضي الله عنها فبينما نحن في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة في منتصف النهار إذا برسول الله ﷺ على الباب مقتنعا فقال أبو بكر فداء له أبي وأمي والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر فدخل النبي ﷺ وقال لأبي بكر: أخرج من عندك. فقال: إنما هم أهلك بأبي أنت وأمي. فقال النبي ﷺ قد أذن لي في الخروج فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله. قال: نعم. فقال: يا رسول الله فخذ إحدى راحلتي هاتين. فقال النبي ﷺ: بالثمن ثم خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر فأقاما في غار جبل ثور ثلاث ليال يبيت عندهما عبدالله بن أبي بكر وكان غلاما شابا ذكيا واعيا فينطلق في آخر الليل إلى مكة فيصبح من قريش فلا يسمع بخبر حول النبي ﷺ وصاحبه إلا وعاه حتى يأتي به إليهما حين يختلط الظلام، فجعلت قريش تطلب النبي ﷺ من كل وجه وتسعى بكل وسيلة ليدركوا النبي ﷺ حتى جعلوا لمن يأتي بهما أو بأحدهما دية مئة من الإبل، ولكن الله كان معهما يحفظهما بعنايته ويرعاهما برعايته حتى إن قريشا ليقفون على باب الغار فلا يرونهما. قال، أبو بكر رضي الله عنه قلت للنبي ﷺ ونحن في الغار لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا. فقال: «لا تخزن إن الله معنا، ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما»^(١) حتى إذا سكن الطلب عنهما قليلا خرجا من

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب المهاجرين وفضلهم، ومسلم، =

وَالهِجْرَةُ: الْإِنْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَامِ^(١)

الغار بعد ثلاث ليال متجهين إلى المدينة على طريق الساحل .
ولما سمع أهل المدينة من المهاجرين والأنصار بخروج رسول الله ﷺ إليهم كانوا يخرجون صباح كل يوم إلى الحرة ينتظرون قدوم رسول الله ﷺ ، وصاحبه حتى يطردهم حر الشمس ، فلما كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ وتعالى النهار واشتد الحر رجعوا إلى بيوتهم وإذا رجل من اليهود على أطم من أطام المدينة ينظر لحاجة له فأبصر رسول الله ﷺ وأصحابه مقبلين يزول بهم السراب فلم يملك أن نادى بأعلى صوته يا معشر العرب هذا جدكم يعني هذا حظكم وعزكم الذي تنتظرون فهبّ المسلمون للقاء رسول الله ﷺ معهم السلاح تعظيماً وإجلالاً لرسول الله ﷺ وإيداناً بإستعدادهم للجهاد والدفاع دونه رضي الله عنهم فتلقوه ﷺ بظاهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين ونزل في بني عمرو بن عوف في قباء ، وأقام فيهم بضع ليال وأسس المسجد ، ثم ارتحل إلى المدينة والناس معه وآخرون يتلقونه في الطرقات قال أبو بكر رضي الله عنه خرج الناس حين قدمنا المدينة في الطرق وعلى البيوت والغلمان والخدم يقولون الله أكبر جاء رسول الله ، الله أكبر جاء محمد .

(١) الهجرة في اللغة : « مأخوذة من الهجر وهو الترك » .

وأما في الشرع فهي كما قال الشيخ : « الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام » . وبلد الشرك هو الذي تقام فيها شعائر الكفر ولا تقام فيه شعائر الإسلام كالأذان والصلاة جماعة، والأعياد، والجمعة على وجه

وَالْهَجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَامِ (١) ،
 وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ . وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ
 تَوَفَّيْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي
 الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ
 وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا
 يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ
 وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا ﴾ (٢) [سورة النساء، الآيات : ٩٧-٩٩] .

عام شامل ، وإنما قلنا على وجه عام شامل ليخرج ما تقام فيه هذه الشعائر
 على وجه محصور كبلاد الكفار التي فيها أقليات مسلمة فإنها لا تكون بلاد
 إسلام بما تقيمه الأقليات المسلمة فيها من شعائر الإسلام ، أما بلاد
 الإسلام فهي البلاد التي تقام فيها هذه الشعائر على وجه عام شامل .
 (١) فهي واجبة على كل مؤمن لا يستطيع إظهار دينه في بلد الكفر فلا يتم
 إسلامه إذا كان لا يستطيع إظهاره إلا بالهجرة ، وما لا يتم الواجب إلا به
 فهو واجب .

(٢) في هذه الآية دليل على أن هؤلاء الذين لم يهاجروا مع قدرتهم على
 الهجرة أن الملائكة تتوفاهم وتوبخهم وتقول لهم ألم تكن أرض الله واسعة
 فتهاجروا فيها ، أما العاجزون عن الهجرة من المستضعفين فقد عفا الله
 عنهم لعجزهم عن الهجرة ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها .

﴿ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَبْعَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن آَرْضِي وَسِعَةٌ فَيَأْتِي فَأَعْبُدُونِ ﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ٦٥] قَالَ الْبَغَوِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - : سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ لَمْ يُهَاجِرُوا؛ نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الْإِيمَانِ ^(١) . وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهَجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ قَوْلُهُ ﷺ : «لَا تَنْقَطِعُ الْهَجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» ^(٢) .

(١) الظاهر أن الشيخ رحمه الله نقل هذا عن البغوي بمعناه، هذا إن كان نقله من التفسير إذ ليس المذكور في تفسير البغوي لهذه الآية بهذا اللفظ .

(٢) وذلك حين انتهاء العمل الصالح المقبول قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٥٨] والمراد ببعض الآيات هنا طلوع الشمس من مغربها .

(تتمة) نذكر هنا حكم السفر إلى بلاد الكفر .

فنقول : السفر إلى بلاد الكفار لا يجوز إلا بثلاثة شروط :

الشرط الأول : أن يكون عند الإنسان علم يدفع به الشبهات .

الشرط الثاني : أن يكون عنده دين يمنعه من الشهوات .

* أخرجه أبو داود، كتاب الجهاد، باب : في الهجرة هل انقطعت . وأحمد ج ١ ص ١٩٢ .
والدرامي، كتاب السير، باب : أن الهجرة لا تنقطع ، والهيثمي في «مجمع الزوائد» ج ٥ ص ٢٥٠ ، وقال : «روى أبو داود والنسائي بعض حديث معاوية - رواه أحمد والطبراني في الأوسط والصغير من غير حديث ابن السعدي - ورجال أحمد ثقات -» .

الشرط الثالث : أن يكون محتاجًا إلى ذلك .

فإن لم تتم هذه الشروط فإنه لا يجوز السفر إلى بلاد الكفار لما في ذلك من الفتنة أو خوف الفتنة وفيه إضاعة المال لأن الإنسان ينفق أموالاً كثيرة في هذه الأسفار .

أما إذا دعت الحاجة إلى ذلك لعلاج أو تلقي علم لا يوجد في بلده وكان عنده علم ودين على ما وصفنا فهذا لا بأس به .

وأما السفر للسياحة في بلاد الكفار فهذا ليس بحاجة وبإمكانه أن يذهب إلى بلاد إسلامية يحافظ أهلها على شعائر الإسلام، وبلادنا الآن والحمد لله أصبحت بلاداً سياحية في بعض المناطق فبإمكانه أن يذهب إليها ويقضي زمن إجازته فيها .

وأما الإقامة في بلاد الكفار فإن خطرها عظيم على دين المسلم، وأخلاقه، وسلوكه، وآدابه وقد شاهدنا وغيرنا انحراف كثير ممن أقاموا هناك فرجعوا بغير ما ذهبوا به، رجعوا فُسَّاقًا، وبعضهم رجع مرتدًا عن دينه وكافرًا به وبسائر الأديان - والعياذ بالله - حتى صاروا إلى الجحود المطلق والاستهزاء بالدين وأهله السابقين منهم واللاحقين، ولهذا كان ينبغي بل يتعين التحفظ من ذلك ووضع الشروط التي تمنع من الهوي في تلك المهالك .

فالإقامة في بلاد الكفر لا بد فيها من شرطين أساسيين :

الشرط الأول : أمن المقيم على دينه بحيث يكون عنده من العلم والإيمان ،

وقوة العزيمة ما يطمئنه على الثبات على دينه والحذر من الانحراف والزيغ، وأن يكون مضمراً لعداوة الكافرين وبغضهم مبتعداً عن موالاتهم، ومحبتهم، فإن موالاتهم ومحبتهم مما ينافي الإيمان بالله قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [سورة المجادلة، الآية: ٢٢] الآية: وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَدِيمِينَ﴾ [سورة المائدة، الآيتين: ٥١، ٥٢] وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ: «أن من أحب قوماً فهو منهم، وأن المرء مع من أحب»^(١).

ومحبة أعداء الله من أعظم ما يكون خطراً على المسلم لأن محبتهم تستلزم موافقتهم واتباعهم، أو على الأقل عدم الإنكار عليهم ولذلك قال النبي ﷺ: «من أحب قوماً فهو منهم»^(١).

الشرط الثاني: أن يتمكن من إظهار دينه بحيث يقوم بشعائر الإسلام بدون ممانع، فلا يمنع من إقامة الصلاة والجمعة والجماعات إن كان معه من يصلي جماعة ومن يقيم الجمعة، ولا يمنع من الزكاة والصيام والحج وغيرها من شعائر الدين، فإن كان لا يتمكن من ذلك لم تجز الإقامة

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب: علامة حب الله عز وجل. ومسلم، كتاب الصلاة، باب: المرء مع من أحب.

لوجوب الهجرة حينئذ، قال في المغني ص ٤٥٧ ج ٨ في الكلام على أقسام الناس في الهجرة: أحدها من تجب عليه وهو من يقدر عليها ولا يمكنه إظهار دينه، ولا تمكنه من إقامة واجبات دينه مع المقام بين الكفار فهذا تجب عليه الهجرة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا قَالُوا لَيْتَكُمَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [سورة النساء، الآية: ٩٧]. وهذا وعيد شديد يدل على الوجوب، ولأن القيام بواجب دينه واجب على من قدر عليه، والهجرة من ضرورة الواجب وتتمته، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. اهـ.

وبعد تمام هذين الشرطين الأساسيين تنقسم الإقامة في دار الكفر إلى أقسام:

القسم الأول: أن يقيم للدعوة إلى الإسلام والترغيب فيه فهذا نوع من الجهاد فهي فرض كفاية على من قدر عليها، بشرط أن تتحقق الدعوة وأن لا يوجد من يمنع منها أو من الاستجابة إليها، لأن الدعوة إلى الإسلام من واجبات الدين وهي طريقة المرسلين وقد أمر النبي ﷺ بالتبليغ عنه في كل زمان ومكان فقال ﷺ: «بلغوا عني ولو آية»^(١).

القسم الثاني: أن يقيم لدراسة أحوال الكافرين والتعرف على ما هم عليه من فساد العقيدة، وبطلان التعبد، وانحلال الأخلاق، وفوضوية

(١) رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل.